﴿*يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا ذكر الله تعالى قلّة المقتصدين وكثرة الفاسقين من أهل الكتاب أمر تعالى نبيّه بأن يبلّغ ما أنزل إليه، ولا ينظر إلى قلّة المقتصدين، وكثرة الفاسقين منهم، أو يخشى مكروههم؛ فإنّه تعالى يعصمه منهم ويصونه من مكرهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَعْصِمُكَ﴾: مضارع عَصَم، والعِصمة: المنع. ومنه قولهم: عصَمَه الطعام، أي: منعه منَ الجوع، وعَصَم القِربة، أي: شدَّها. والاستعصام: طلب ما يُعتَصَم به ويُمتنَع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف: 32].

والمراد بقوله تعالى: ﴿يَعْصِمُكَ﴾، أي: يحفظك، ويجعل لك وقاية منَ المخاوف الّتي قد توقفك عن تبليغ الرّسالة كالقتل والأسر ونحوهما[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يا أيّها الرّسول ﷺ أخبر بما أُنزِل إليه من ربّك كاملًا، ولا تكتم منه شيئًا، فإنّك إن قصَّرت في ذلك فكتمتَ شيئًا فما أنت بمبلّغ رسالة ربّك، والله تعالى يضمنُ لك العصمة منَ الكافرين إن فعلتَ ذلك، فلا يستطيعون قتلك أو الوصول إليك بسوء، وإنّه تعالى لا يهديهم إلى ما يريدون منَ الإضرار بك.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

النّداء في: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ نودي فيه النّبيّ ﷺ بصفة الرّسالة، وفي هذا النّداء

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 2/34، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/400.

الرّسالة أشرف أوصاف الجنس الإنسانيّ:

منَ اللّه تعالى تشريف له وتعظيم لقدره ﷺ؛ إذِ الرّسالة هي أشرف أوصاف الجنس الإنسانيّ، وقد خُصَّ ﷺ بالنّداء بها، بينما نادى غيره منَ الأنبياء بأسمائهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [البقرة: 35] و﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود: 76][1].

لمَ عُبِّر بالرّسول دون النّبيّ في هذا المَوضِع؟

تبليغ الوحي كاملًا من واجبات الرّسالة:

وفي نداء اللّه تعالى للنّبيّ ﷺ في هذا الموضع بعنوان الرّسالة دون النّبوّة؛ إيذان بأنّ الرّسالة من موجبات ما أمره اللّه تعالى به في هذا النّداء من تبليغ كلّ ما أُنزل عليه منَ الوحي غير مبالٍ بأحد منَ الخلق، فكأنَّ في وصفه بالرّسول إيماء إلى ما يأتي بعد هذا النّداء منَ الأمر الإلهيّ؛ لكون الرّسول أخصّ منَ النّبيّ بكونه مأمورًا بتبليغ ما أُنزل عليه[2].

دلالة التّعريف بـ(ال) في ﴿ٱلرَّسُولُ﴾:

النّبيّ ﷺ كامل الرّسوليّة مستجمِعٌ لموجباتها:

وفي تعريف الرّسول بالألف واللّام في قوله تعالى: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ دلالة على الاستغراق، مبالغة في مدح النّبيّ ﷺ بوصف الرّسالة، فكأنّه قيل: يا أيّها الرّسول الجامع لصفات الرّسوليّة المستكمل لمستحقّاتها ومُوجباتها، وفي ذلك تثبيت لقلبه ﷺ لإتمام مهمة التّبليغ الّتي أوكلها اللّه تعالى إليه في هذه الآيات. واللّه تعالى أعلم.

دلالة أمره ﷺ بالبلاغ:

الأمر بالبلاغ يفيد الدّيمومة:

قوله تعالى: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أمر اللّه تعالى فيه النّبيّ ﷺ بتبليغ ما أُنزل إليه، ولمّا كان ﷺ قد بلَّغ ذلك للأمّة فعلًا كان في أمره بذلك أمر بالدّيمومة عليه، أي: كن دائمًا مبلِّغًا ما أُنزل إليك، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النّساء: 136][3].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 2/592.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/1310، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/60.
(3) النّسفيّ، التّيسير: 7/499، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/321.

فـائـدة الأمـر هـي المـبـالـغـة والكمال:

وقد يكون الأمر بالبلاغ في الآية مرادًا به المبالغة والكمال في التّبليغ؛ وذلك لأنّه تعالى كان يأتيه الوحي بذمّ بعض الأقوام المعاندين لدين الإسلام، فكأنّه قيل له: بلّغ كلّ ما أُنزل إليك، وإن أتاك الوحي بما تكره أن تبلّغه لقومك أو لغيرهم ممّن ليسوا على دين الإسلام[1].

دلالة الإضافة في: ﴿إِلَيْكَ﴾:

تشريف الرّسول ﷺ بـمـرتـبـة الـوسـاطـة بين الله والنّاس:

وفي قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أضيف ضمير المُخاطَب العائد على النّبيّ ﷺ إلى حرف الجرّ (إلى)، وفي هذه الإضافة تشريف لقدره ﷺ بكونه هو الواسطة بين الله تعالى وخلقه في تبليغ الوحي؛ إذ أضاف إنزال الوحي إليه، ولم يقل: إليهم أو إليكم[2].

دلالة الرّبوبيّة والإضافة في: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾:

في الرّبوبيّة وعدٌ ضمنيّ بحفظه ﷺ:

قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ في المجيء هنا بلفظ الرّبّ - المتضمِّن لمعاني الإحسان والرّعاية - وعدٌ ضمنيّ للنّبيّ ﷺ بحفظه وحمايته، فكأنّه قيل: بلِّغْ ما أُنزل إليك غيرَ مراقب أحدًا أو خائف من أن ينالك - بسبب هذا التّبليغ - مكروه أبدًا، فإنّي متكفِّل برعايتك وحفظك، فاختُصِر ذلك المعنى كلُّه في قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾[3].

دلالة الإضافة في: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾:

فـي الإضـافـة تشريف للنّبيّ ﷺ:

وأُضيف لفظ الرّبّ إلى ضمير المُخاطَب ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ تشريفًا له ﷺ؛ إذ أُضيف لفظ الرّبّ إليه خاصّة دون غيره، فكأنّه قيل: بلّغ ما أنزل إليك ربّك الّذي أكرمك بالرّسالة واصطفاك بكونك خاتم رسله. والله أعلم.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 5/524.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/259.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 3/355.

دلالة التّعبير بالفعل دون التّبليغ في: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾:

التّعبير بالفعل أخـــفُّ لـفـظًـا وأحسن رونقًا:

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾، لم يقل تعالى: (وإن لم تبلِّغ)، فغاير تعالى بين اللّفظين، وفي هذه المغايرة بينهما - وإن اتّحدا معنًى - خفَّةٌ في اللّفظ وطلاوةٌ في العبارة، فإنّه أحسن من تكرار لفظ التّبليغ السّابق، ولا سيَّما أنّ جواب الشّرط أيضًا قد جاء به، فكانتِ المغايَرة أبلغَ وأخفَّ من أن يقال: بلّغ ما أنزل إليك، وإن لم تبلغ فما بلَّغت رسالته[1].

الاعتراض بجملة: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾:

إبلاغ ما يخالف الأهـواء لا يقدر عـلـيـه إلّا ذوو الهمم العالية:

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ اعتُرِض به بين: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ - وفيها العامل في الجملة الحالية - وبين جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، ففُصِل بها بين الحال والعامل فيها؛ وذلك لاقتضاء المقام لتأكيد الحثّ على البلاغ؛ لكون إبلاغ ما يخالف الأهواء منَ الوحي شديدًا على النّفس، لا يقدر عليه إلّا ذوو الهمم العالية[2].

اتّحاد الشّرط والجزاء في ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾:

تركُ تبليغ شيء مـــنَ الـوحـي يجعلُه كعدم تبليغ الكلّ:

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ رتَّب الله تعالى على عدم تبليغ النّبيّ ﷺ شيئًا منَ الوحي كونه لم يبلِّغ شيئًا منَ الرّسالة أصلًا، وحاشاه!!، وفي ذلك تشنيع لأمر إخفاء الوحي، فكأنّه قيل له: إن لم تبلِّغ، ولو كلمة واحدة، كنت كمن كتَم جميع ما أُنزل عليه، تنبيهًا على ما يترتّب على ذلك من حبوط العمل، ومثله في تشنيع الفعل قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32][3].

وفي اتّحاد الشّرط والجزاء أيضًا إفادة للمبالغة؛ إذ وضِع قوله

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/192.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/299.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/659، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/399.

تعالى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ موضعَ أمر عظيم، أي: فقد ارتكبتَ أمرًا عظيمًا، فجُعلَ ذكرُ الجزاء مجرَّدًا كافيًا في بيان عظيم خطره وكبير شأنه؛ لكونه لا يمكن أن يوصف بتهديد أبلغ من كونه ترك التّبليغ، وهذا غاية في الوعيد والتّهديد، ومثله قول أبي النَّجم العِجلي[1]: "أنا أبو النَّجم وشِعري شِعري"[2].

اتِّحاد الشّرط والجزاء يفيد المبالغة في الجزاء:

أي: قد بلغ شعري منَ الفصاحة بحيث يكفي في مدحه أن يقال فيه: إنّه شعري[3].

عُبِّر في الجزاء بالسّبب وأريد المسبَّب:

وقيل: إنّ تقدير الجزاء في الآية هو: فلنجازينَّك، أو: فلك ما يوجبه كتمان الوحي منَ العقاب، فوُضِع السّبب - وهو عدم التّبليغ - موضعَ المسبَّب؛ لكونِ سامعه يتبادر إلى ذهنه عند سماعه ما يترتَّب عليه منَ الجزاء[4].

كتمان بعض الرّسالة يضيّع ما أُدِّي منها:

وفي مجيء الجزاء بهذا اللّفظ بيانٌ؛ لأنّ كتمان شيء منَ الوحي يُضيِّع سائر ما أُدِّي منه، وذلك كترك بعض أركان الصّلاة، يضيّع به سائر الأركان المؤدَّاة[5].

في الكناية عن الجزاء إجلالٌ للنّبيّ ﷺ:

وقيل: إنّه قد كُنِّي عنِ الجزاء بهذا اللّفظ إجلالًا للنّبيّ ﷺ عن أن يُقال له: وإن لم تبلّغ ليحبطنَّ عملك أو لنجازينّك[6].

دلالة الجمع في: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾:

كلُّ آية بمثابة رسالة منَ الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ قرأه المدنيَّان وابن عامر ويعقوب وشعبة ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ بالجمع وكسر التّاء نصبًا، ووجه ذلك أنّ الشّرع الشّريف قد ورد على معانٍ كثيرة، وفي أزمنة مختلفة؛ إذ

(1) هو الفضل بن قدامة العِجلي، من أشهر الشّعراء في عصر بني أميّة، توفيّ سنة 130 ه. ينظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: 2/588، والزّركلي، الأعلام: 5/151.
(2) أبو النّجم، ديوان أبي النّجم العِجلي، ص: 198.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/400.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 3/355.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/136.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/320.

نُجِّم على ثلاث وعشرين سنة، فكلّ آية أنزلها الله تعالى على نبيّه ﷺ – على هذه القراءة – تعدّ رسالة مستقلّة[1].

دلالة الإفراد في: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾:

الشّرع كلّه شيء واحد:

وقد قرأ باقي القرّاء العشرة ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ بالإفراد، ووجه ذلك أنّ الشّرع كلّه شيءٌ واحد، وهو بعقائده وأحكامه جملةٌ بعضُها من بعض، فلفظ ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ – وإن كان مفردًا لفظًا – شامل لجميع ما أنزله الله على نبيّه [2] ﷺ.

اسم الواحد قد يدلّ على الجمع:

كما أنّ الإفراد في: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ قد يراد به الجمع أيضًا؛ لكونها كالمصدر في أكثر الكلام، وهو لا يُثنّى ولا يجمع، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النّحل: 18]، أُفردت النّعم مع أنّها كثيرة، وكذلك الرّسالة ههنا[3].

دلالة الاسم العظيم في: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ﴾:

لفظ الجلالة يفيد الاهتمام بالنّبيّ ﷺ وتطمينه:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ﴾ افتُتحت الجملة بلفظ الجلالة المتضمّن لمعاني العزّة والمنَعة، وكان يصحّ أن يُقال في غير القرآن: وأنا أعصمك أو نحوه، وفي الإتيان بلفظ الجلالة تطمين للنّبيّ ﷺ واهتمام به؛ إذ تبليغ كلّ ما أُنزل عليه ممّا يتوقّع بعده وقوع العنت ومحاولة الإضرار به ﷺ، فكان في الاسم العظيم مزيد رعايةٍ له وتثبيتٍ لقلبه [4] ﷺ.

دلالة المضارعة في: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾:

حفظ الله تعالى لنبيّه ﷺ مستمرٌّ دائمٌ:

وعبّر بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ للدّلالة على ديمومة حفظ الله تعالى لنبيّه ﷺ واستمراره، أي: كما عصمك من قبل فإنّه يتكفّل بحفظك فيما يُستقبَل منَ الزّمان[5].

(1) مكّي، الكشف: 1/415، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/400.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/218.
(3) الفارسّي، الحجّة: 3/245.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/263.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/323.

ولذا رُوي أنّه لمّا نزلَت هذه الآية قال النّبيّ ﷺ لحرّاسه: «يا أيّها النّاس، انصرفوا؛ فقد عصمني الله»[1].

دلالة (ال) في: ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

المراد بالنّاس هم الكفّار خاصّة:

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ (الـ) فيه للجنس، فهي لغة مستغرقة لجميع النّاس، أما معنىً فالمراد بها هم الكفّار منَ اليهود والنّصارى والمشركين والمنافقين؛ إذ هم الّذين تُتَوقَّع منهم محاولة الإضرار به ﷺ دون سائر النّاس، فهو عامّ مرادٌ به الخصوص، بدلالة قوله تعالى بعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

دلالة وضع الظّاهر موضعَ المضمَر في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

تعليل عصمة النّبيّ ﷺ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيه وضعٌ للظّاهر موضعَ المضمَر؛ وذلك لأنّ المراد بالنّاس في قوله تعالى: ﴿يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ هم الكفّار، فكان السّياق يقتضي أن يُقال في غير القرآن: إنّ الله لا يهديهم، لكن لمَّا كانتِ الجملة سيقت مساقَ التّعليل لعصمة الله تعالى لنبيّه ﷺ جيء بلفظ القوم الكافرين؛ للدّلالة على أنّه تعالى لا يهديهم إلى ما يريدونه من إطفاء نوره بإنزال الضّرر بالنّبيّ ﷺ بحيث لا يقدر على تبليغ رسالة الله تعالى، وهذه الآية من دلائل نبوّته ﷺ[3].

(1) التّرمذيّ، السنن التّرمذيّ: 5/138.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/263.
(3) النّحاس، إعراب القرآن: 1/275، والطّيبيّ، فتوح الكبير: 5/429.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»